سواء أكان هذا تزعماً لا مبرر له أو كان ثمن سداد فإنه لا يغير في الأمر الواقع من أنهم نزحوا أعفاء و
أخلياء من المال فوجدانهم مبرأون من أية صلة بدولة خارجية بل كان اتجاههم مقصوراً على جهة
واحدة هي الدولة الهاشمية الحجازية وكانت في دور استقرار. وطمأنينة حال يساعدها على أن تكون الأمل
المرجو في تمويل الحملة وتسليحها مقابل مطمع عام هو استصفاء الشام لصالح العروبة وبطبيعة الحال توطيد عرش آل هاشم
في ربوعه. وهل يدور ببال أن يكون العرش بلا ثمن، أو تكون زعامة العرب العليا للملك حسين عارية
عن التكاليف أو قائمة على البذل من جانب واحد؟

لقد حرصت على تمحيص النظريتين تمحيصاً أحسب أنه أقرب إلى الحيدة. فتناسيت أني من زمرة هؤلاء
الوطنيين السوريين وأحد المشتبه بأمرهم. لكني هنا في موقف المدون لشوارد الحوادث وتعليل مناسباتها.
وعلي أن ألحق ناحية من نواحي الرأي تاركاً المقايسة والمقارنة بين مختلف الاتجاهات لمن يتولون
بعدنا تمحيص الحكم الأرشد والرأي الأسد خصوصاً وأن الحقائق تبدو صورة أكثر منها مقصودة

قد يقول قائل: لماذا كان هؤلاء الوطنيون يستشفون بواكير الخير من كل حركة، ويعقدون
عليها أكبر الآمال، فتستخفهم الأماني ويستقادون إلى الأحلام وهم أهل تقدير ونظر؟ ألم
يكن خليقاً بهم أن يحسنوا ترتيب النتائج ويتدارسوا وجوه الاحتمالات قبل الشروع في [illegible]؟

بل أحسب أن بعضهم قد وجه إلينا مثل هذه الملامة ولكن بعد انكشاف الأحوال. والجواب
عليه هو أن الأمر من التخفيف مع القواعد وليس من شيمة العاقلين.. ومثله لا يخفى إلى أن
الظروف السائدة يومئذ كانت ظروفاً تقتضي السعي إلى خلق "حركة ما" ضد فرنسا التي تمعن في طلبها
وابتلاعها السورية وتحسب الحركة الوطنية في سوريا وتلك الأيام. فكان لا الوقت يسمح بالانتظار في فلسفات
عن مآل الحركة ومقاصدها ونهى النبذ بما هو مطوي في ضمير الغيب. فرجال الوطنية لم يكونوا جمعية في طاولة
واحد ليكشفوا أسرار الفواصل بل كانوا منتشرين في الشرق والغرب. فلم يعقد جمعهم إلا في صفة أركان.
وأظنني لست بحاجة إلى التنبيه مرة أخرى بأنني هنا أقصد بمنطق الحوادث في تلك الأزمنة وأدعها تبين نفسها
دون تعليل يتجاوز في الغرض، وأتحاشى ما أجد الطاقة لولا أن منطق الحوادث لا يحابي أحداً. وسأعيد هذا التفصيل
أيضاً في الفصل الثاني

الناشر سني